من ألفاظ البيروني في كتاب الصيدنة (١)

الدكتور ميشيل الخوري

١

وردت لفظتا الصيدنة والصيدناني وأختاهما لفظتا الصيدلة والصيدلاني في السطر الأول من الصفحة الأولى من كتاب الصيدنة في الطب لأبي الريحان محمد بن أحمد البيروني (٣٦٢ - ٤٤٢ هـ/ ٩٧٣ - ١٠٥٠ م) . وقبل الخوض في بحث الناحية اللغوية لهذه الألفاظ يحسن بي أن أعرض فيما يلي صورة موجزة لكتاب الصيدنة في الطب .

ينقسم كتاب الصيدنة في الطب، على ما جاء في مخطوطاته : قسمين أولهما المقدمة وثانيهما الكتاب خاصة ، وهو أطول القسمين . أما المقدمة فتتألف من تمهيد وخمسة فصول . وقد عرّف البيروني في التمهيد الصيدنة والصيدناني وتناول في الفصل الأول أصل هاتين اللفظتين وما جرى مجراهما من الألفاظ المعربة . ثم ذكر في الفصل الثاني الأسماء التي تطلق على أصناف الأدوية ، وأوضح في الفصل الثالث قوى الأدوية . وأخيراً فإنه أعرب في الفصلين الرابع والخامس عن تفضيله اللغة العربية على الفارسية في تصنيف الكتب العلمية

(١) محاضرة ألقيت في المهرجان الخطابي الذي دعا اليه المجلس الأعلى للعلوم في الجمهورية العربية السورية احتفاء بالذكرى الألفية لمولد العالم ابي الريحان البيروني وذلك في نطاق اسبوع العلم الرابع عشر المقام في دمشق في المدة ٢ - ٧ تشرين الثاني ١٩٧٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وذكر بعض المعاجم الكثيرة اللغات التي كان يلجأ إليها لمعرفة أسماء الأدوية بمختلف اللغات الشائعة في عصره .

ويشتمل القسم الثاني على وصف مطوّل للأدوية المفردة التي تنتمي إلى الأعيان الثلاثة ، ولكن أكثرها من النبات وأقلها من الحيوان والجماد . وقد أورد البيروني أسماء الأدوية التي يتألف منها كتابه مرتبة على حروف المعجم ، لأن هذا الترتيب كما قال البيروني أشهر عند الجمهور من الترتيب على حروف الجُمَّل . وهو يذكر أولاً اسم الدواء وما يرادفه بالعربية ثم يتبعه بالأسماء التي تقابله باللغات الأخرى كاليونانية والفارسية والسريانية والهندية وغيرها من اللغات التي كانت محكية في البلدان المتاخمة لوطنه خوارزم . ثم أنه يذكر خواص كل دواء وأوصافه وأنواعه وموطنه ، وإذا كان نباتاً أشار إلى استنباته ونموه وحفظه ، وما إلى ذلك من الأمور المتعلقة به . ولكن البيروني يتعمد عمداً في وصفه لمعظم الأدوية الواردة في كتابه عن الإشارة إلى كيفية استعمال الدواء في العلاج ، فلا يذكر شيئاً ألبتة عن مقاديره وتأثيره في مختلف الأعضاء ، كما يغفل ذكر أسماء الأمراض التي يُستطب به فيها . وهو أمين في نقله ، فيذكر أسماء المؤلفين الذين يأخذ عنهم ما قيل في الدواء الذي يتناوله البحث . وأخيراً فإنه بين آن وآخر يلجأ إلى الشعر العربي فيقبس منه شواهد يذكر فيها اسم ذلك الدواء ولا سيما إذا كان نباتاً .

وقد حظي كتاب الصيدنة باهتمام العلماء من شرقيين وغربيين ، فترجمه إلى الفارسية أبو بكر بن علي بن عثمان الكاساني في أوائل القرن السابع الهجري . وفي سنة ١٩٣٢ ترجمه ماكس مايرهوف المستشرق الألماني إلى الألمانية ولكن لم ينشر منه غير المقدمة مع ما يقابلها من الأصل العربي .

وبمناسبة الذكرى الألفية لمولد أبي الريحان البيروني ، والاحتفاء بها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على نطاق عالمي فقد نشرت مؤسسة همدرد الوطنية في كراتشي بالباكستان سنة ١٩٧٣ تحقيقاً عربياً لكتاب الصيدنة وضعه الدكتور رانا احسان إلهي الأستاذ في في جامعة البنجاب وترجمة إنكليزية لهذا الكتاب وضعها الحكيم محمد سعيد رئيس مؤسسة همدرد . وقد صدر التحقيق والترجمة في كتاب واحد ومعه كتاب آخر يشتمل على تحقيق وتقييم باللغة الانكليزية لكتاب الصيدنة من وضع الدكتور سامي خلف حمارنة الأستاذ المؤرخ في سميثسونيان انستيتوشن في واشنطن . وفضلاً عن ذلك فإن أكاديمية العلوم في طشقند أصدرت في سنة ١٩٧٣ لكتاب الصيدنة ترجمة روسية وضعها عبيد الله كريموف عضو الأكاديمية ، وترجمة أخرى باللغة الاوزبكستانية .

ربما أن ايران كانت احدى الدول التي اشتركت في احياء الذكرى الألفية لمولد البيروني فإن المجلس الأعلى للثقافة والفنون في العاصمة الايرانية نشر قسماً من الترجمة الفارسية لكتاب الصيدنة في الطب ، كما نشر خمسة كتب تذكارية أخرى تضمنت دراسات وشروحاً وفهارس لمؤلفات البيروني .

وتبيَّن مما اجتمع لدينا من المصورات لمخطوطات كتاب الصيدنة أن أقدمها على الأرجح هي المخطوطة ذات الرقم ١٤٩ المحفوظة في جامع كورشونلو في بورسه بتركيا . وهي مخطوطة نقلها إبراهيم بن محمد بن إبراهيم التبريزي المعروف بغضنفر سنة ٦٧٨ هـ ، عن نسخة كتبها الإمام محمد بن مسعود بن محمد الزكي الغزنوي سنة ٥٤٩ هـ نقلاً عن نسخ أخرى أخصها نسخة كتبت سنة ٤٦٨ هـ أي بعد وفاة البيروني بنحو خمس وعشرين سنة . وقد فقدت جميع هذه النسخ ما عدا النسخة التي كتبها غضنفر والتي رجحنا أنها مخطوطة بورسه كما تقدم[1] .

ويبدو أن كل ما في دور الكتب من نسخ كتاب الصيدنة إنما هو

(١) تيسّر الحصول على مصور مخطوطة بورسه لكتاب الصيدنة في الطب بمعاونة المكتبة المركزية بجامعة طهران .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

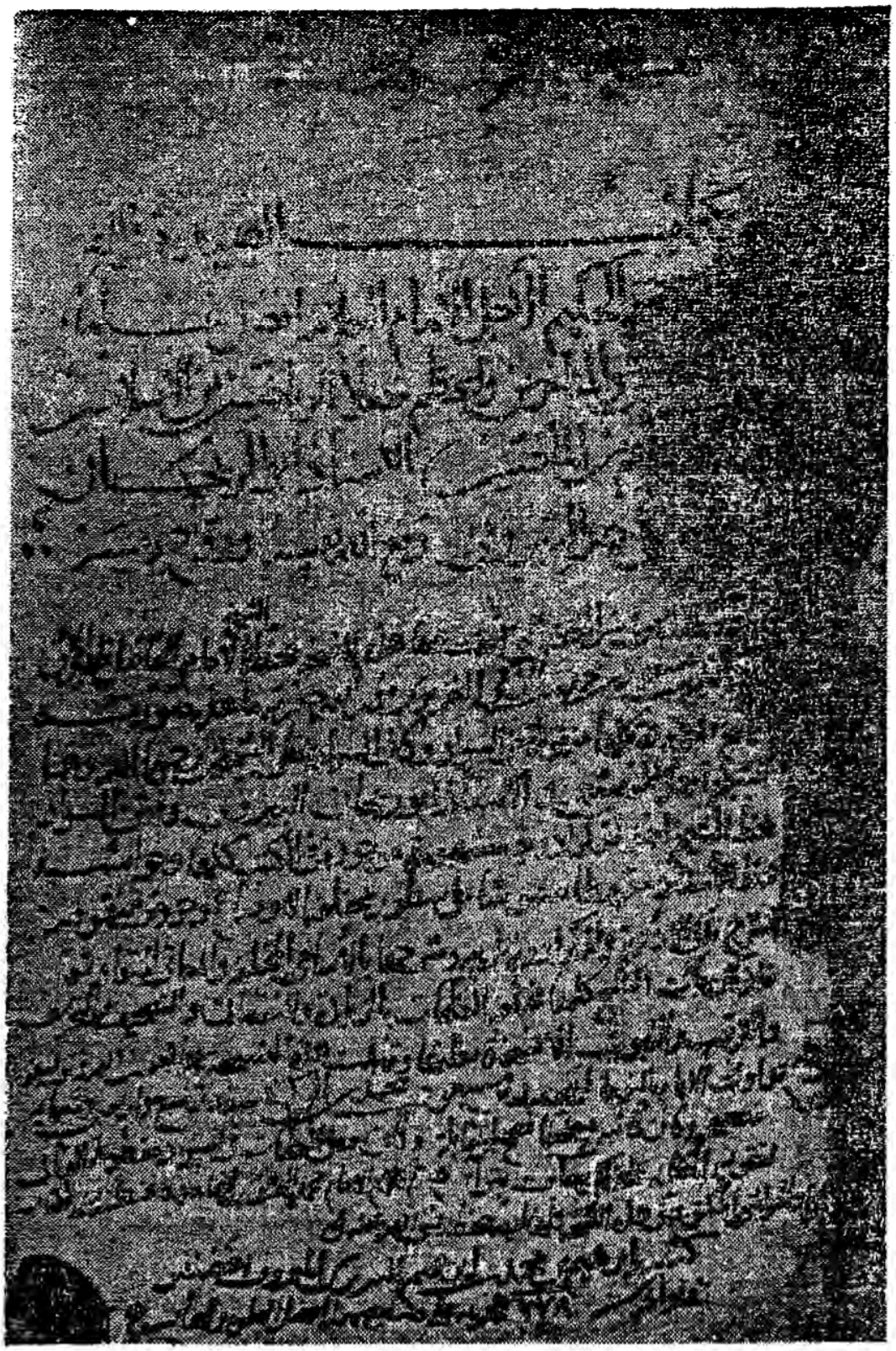

وجه الورقة الأولى من مخطوطة بورسه لكتاب الصيدنة في الطب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

نقل عن مخطوطة بورسه ، وأخص هذه النقول التي استعان بها الباحثون المعنيون بدراسة كتاب الصيدنة ، النسخة ذات الرقم ل / ٣٠١٤ التي تملكها دار الكتب المصرية بالقاهرة ، والنسخة ذات الرقم ١٩١١ المحفوظة في مكتبة المتحف العراقي في بغداد .

٢

سأقتصر في هذا المقال على بحث الألفاظ صَيْدنة وصيدلة وصيدناني وصيدلاني ، فأنقل ما جاء عن تعريفها وأصلها في الأمهات وسواها من المراجع ، مشيراً بوجه خاص إلى ما ذهب إليه البيروني من أن الصيدنة والصيدناني لفظتان معربتان ، وأن تعريبها وتعريب ما جرى مجراهما من الألفاظ ، إنما تم بتحويل بعض حروف الكلمة الأعجمية ، وخاصة بتحويل حرف الجيم في الكلمة الأعجمية إلى صاد في الكلمة المعربة .

وقد رأيت أن أبدأ بحثي بإيراد نص اقتطعته من مقدمة كتاب الصيدنة كما جاءت في مخطوطة بورسه . وإنما وقع اختياري على هذا النص لتضمنه المنهج الذي جرت عليه في بحثي من حيث التعريف الذي وضعه البيروني لكل من الصيدنة والصيدناني ومن حيث الأصل اللغوي الذي تولدت منه هاتان اللفظتان . وهذا هو النص :

« الصيدنة هي معرفة العقاقير المفردة بأجناسها وأنواعها وصورها المختارة لها ، وخلط المركبات من الأدوية بكنه نسخها المدونة . والصيدنة أعرف من الصيدلة والصيدلاني أعرف من الصيدناني ، وهو المحترف بجمع الأدوية على أحمد صورها واختيار الأجود من أنواعها مفردة ومركبة على أفضل التراكيب التي خلدها له مبرزو أهل الطب » .

ويتابع البيروني فيقول :

« في الصّاد الذي في أول اسم الصيدنة والصيدناني سِمةٌ من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

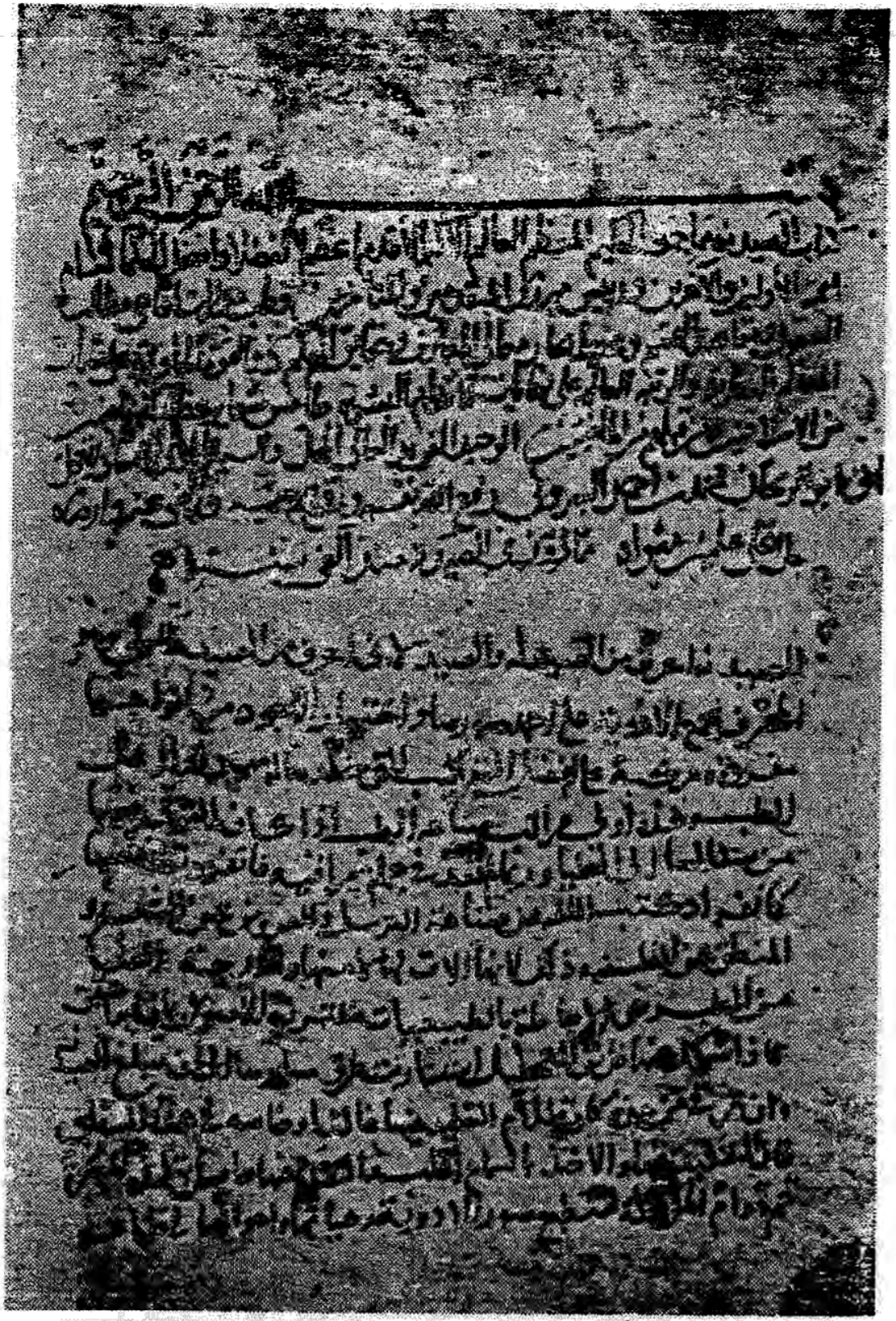

ظهر الورقة الأولى من مخطوطة بورسه لكتاب الصيدنة في الطب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الدلالة على أنه مُعرَّب الجيم . ولهذا لا أستنكر من حمزة الأصبهاني قوله في الصيدناني إنه معرب جندناني[1] ، وذلك أن ولوع الهند بالصندل يفوق ولوعهم بسائر أهضام العطر وأفواه الطيب ويسمونه جندَن وجندل . فأما نسبة الصيدناني إلى الصندل فهي أيضاً سبب يصيره صندلانياً فهو أصوب . وقد يجوز أن يقارب الفرس الهند في الرغبة في الصندل حتى يسموا جلاَّبه جندنانياً ، ثم عُرِّب إذ لم تكن العرب تفرد له اسماً أو لقباً . وكأنهم كانوا يزهدون في الصندل فنقلوا هذا الاسم المُعرَّب من مزاولي العطر إلى مزاولي الأدوية لما لم يكن في جملة عطورهم ، ولم يكادوا يميزون بين العطار والبيطاسي وعموها لقلة الهداية . والعرافة نسبة إلى العلم والمعرفة . قال:

تروحُ الى العطارِ تبغي شبابَها ولا يُصلحُ العرَّافُ ما أفسدَ الدهرُ

ومنه عرَّافُ اليمامة لجمع أدهانهم الأرجة الى التداوي والمنفعة » .

« فأما قول بعض اللغويين في الصيدناني إنه دويبة طويلة لا تكاد أرجلها تعد لكثرتها وتفاوتها في الطول والقصر قد شبه به الصيدلاني لكثرة أدويته واختلاف جربه وأوعيته فهو لغو بحت . وكأنه أشار إلى دخَّال الآذان المعروف مرة بالأربع والأربعين وأخرى بالسبع والسبعين . وكنت عددت أرجل واحد منها فكانت مائتين وأربعين رجلاً » .

٣

تقدم في النص الذي سبق ذكره أن البيروني عرف الصيدنة بقوله : « الصيدنة هي معرفة العقاقير المفردة بأجناسها وانواعها وصورها المختارة لها وخلط المركبات من الأدوية بكُنهِ نُسَخِها المدونة » . وتعريف البيروني للصيدنة مطابق لتعريف الصيدلة في المعجمات الطبية الحديثة ، فقد جاء في معجم دورلند الطبي أن الصيدلة هي فن تحضير الأدوية وتركيبها وتوزيعها .

(١) الجيم في الألفاظ جندناني وجندن وجندل حيثما ترد في هذا المقال هي الجيم الفارسية المثلثة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وتوسع المعجم الوسيط في تعريف الصيدلة فقال : « الصيدلة مهنة الصيدلاني، وعلم الصيدلة علم يبحث فيه عن العقاقير وخصائصها وتركيب الأدوية وما إلى ذلك » .

ولفظة الصيدنة في عرف البيروني أعرف وأشهر من الصيدلة فهو إذن يقول في التمهيد لمقدمة كتاب الصيدنة : « الصيدنة أعرف من الصيدلة والصيدلاني أعرف من الصيدناني » ، ولهذا السبب جعل البيروني كلمة الصيدنة عنواناً لآخر الكتب التي ألفها وهو كتاب الصيدنة في الطب . وهو قد يكون على صواب في ذلك ، ولا سيما إذا كانت لفظة الصيدنة أشهر من الصيدلة في المنطقة التي قضى فيها بقية حياته وهي المنطقة التي تعرف اليوم بأفغانستان ، وحاضرتها كانت في زمنه غزنة مقر السلاطين من آل سبكتكين .

ولكن جمال الدين القفطي ذكر في كتابه إخبار العلماء بأخبار الحكماء (ص ٢٨٠) مايؤخذ منه أن الصيدلة والصيدلاني هما اللفظتان اللتان كانتا شائعتي الاستعمال في القرن الثاني الهجري أي قبل زمن البيروني بأكثر من مائتي سنة ، فروى أن الخليفة المهدي كان من أطبائه أبو قريش المعروف بعيسى الصيدلاني ، فاستدعاه المهدي وخاطبه فلم يجد عنده علماً بالصناعة إلا شيئاً يسيراً من علم الصيدلة ، إلا أنه اتخذه طبيباً لما جرى منه واستخصه وأكرمه الإكرام التام .

وقد استعملت كلمة الصيدلة بعد ذلك في القرن الثالث ، فإن أبا بكر محمد بن زكريا الرازي ذكر في كتابه الجامع كلمة الصيدلة دون الصيدنة . قال ابن أبي أصيبعة في كتابه عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ج ١ ص ٣٩٧ و ٣١٨) : « وللرازي كتاب الجامع ويسمى حاصر صناعة الطب ... وهو ينقسم اثني عشر قسماً ، القسم الخامس في صيدلة الطب فيه صفة الأدوية وألوانها وطعومها وروائحها ومعادنها وجيدها ورديئها ونحو ذلك من علل الصيدلة ... وله كتاب صيدلة الطب » . ويلاحظ على ذلك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أن البيروني أشار في نهاية الفصل الخامس من مقدمة كتاب الصيدنة إلى كتاب الرازي فسماه كتاب الصيدنة بالنون لا كتاب الصيدلة باللام كما فعل الرازي . قال البيروني : « كنت طالعت لأبي بكر الرازي كتابيه في الصيدنة والإبدال فلم افز منهما بالكفاية » . فيدل ذلك على شدة تعلق البيروني بكلمة الصيدنة وتغليبه لها على كلمة الصيدلة .

وعلى العكس مما قاله البيروني من أن الصيدنة أعرف من الصيدلة فإن أحد معاصريه وهو الطبيب أبو الحسن المختار بن بطلان البغدادي ذكر في كتابه دعوة الأطباء لفظة الصيدلة ولم يذكر الصيدنة ، فقال في موضع من هذا الكتاب : « تعز عليَّ هذه الصناعة قلَّ الواصف لها وعدم العارف بها فتحامى التجار جلب العقَّار وبقينا من صناعة الصيدلة على البراني المُصفَّفة والصواني المُزوَّقة والدكاكين المزخرفة والألواح المرندجة » . ولو أن ابن بطلان عاش في هذا الزمان لأضاف إلى ذلك هذه الأدوية المعبأة والمعلبة التي أغنت عن الكيمياء وأعادت الصيدليات متاجر للبيع والشراء .

ومع أن لفظة الصيدلة وردت في كلامهم وفي مؤلفاتهم منذ القرن الثاني الهجري ، فإنها لم ترد في المعجمات التي أُلفت قبل القرن التاسع . وقد كان القاموس المحيط للفيروزابادي أول المعجمات العربية التي ذكرتها فأشار إليها بإيجاز في سياق تعريفه للصيدلاني . وقد جاء عن لفظة الصيدلة في هذا المعجم مايلي : « ومحمد بن داود الفقيه الصيدلاني وجدُّه منسوبان إلى بيع العطر وهو الصيدلة » . وزاد عليه الزبيدي في تاج العروس فقال : « منسوبان إلى بيع العطر والأدوية والعقاقير وهو الصيدلة أي بيع العطارة » .

وإذا انتقلنا إلى المعجمات الحديثة لوجدنا أيضاً أن الصيدلة تعرف فيها بإيجاز وأن الصيدنة غير واردة فيها مما يدل على أن هذه المعجمات كمعجمي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الفيروزأبادي والزبيدي عدت الصيدنة لفظة مماتة فضربت صفحاً عنها ، واعتبرت الصيدلة لفظة حية فذكرتها ، وذلك كما هو يبيّن مخالف لما أراده البيروني من تغليب لفظة الصيدنة على الصيدلة . إلا أن لفظتي الصيدلة والصيدنة وردتا في معجم دوزي بمعنى العقاقير ، وهو معنى آخر يختلف كل الاختلاف عن المعنى الذي أراده البيروني في تعريفه الصيدنة . ويستشهد هذا المعجم على لفظة الصيدلة بمعنى العقاقير بعبارة جاءت في مخطوطة ليدن ذات الرقم ٣٣١ (٧) وهي : «وكان أميناً في المارستان على الخزانة التي فيها الصيدلة» . ويستطرد معجم دوزي فيقول إن الصيدنة هي الصيدلة أي العقاقير ، ثم يستشهد على اللفظة بهذا المعنى بعبارة وردت في المعجم العبري العربي لأبي الوليد مروان بن جَنَاح القُرطبي وهي : «أفاوية وعطرٌ وصيدنة» . وهو يستشهد أيضاً على لفظة الصيدنة بمعنى الأدوية بعبارة أخرى وردت في مخطوطة باريس ذات الرقم ٣٣٤٧ لكتاب مركز الاحاطة بأدباء غرناطة لمؤلفه لسان الدين بن الخطيب ، والعبارة هي : «لها معرفة بالطب والصيدنة» . أي الأدوية المستعملة في الطب .

٤

وقد استعمل البيروني في مقدمة كتاب الصيدنة لفظتي الصيدلاني وجمعها صيادلة والصيدناني وجمعها صيادنة بدون أن يرجح الواحدة على الأخرى ، مع أنه ذهب في مقدمته إلى أن الصيدلاني أعرف من الصيدناني ، وعرّفه بقوله : «هو المحترف بجمع الأدوية على أحمد صورها واختيار الأجود من أنواعها مفردة ومركبة على أفضل التراكيب التي خلدها له مبرزو أهل الطب» . وليس بغريب أن ينطبق هذا التعريف الذي وضعه البيروني للصيدلاني منذ ألف سنة ، على الصيدلاني في هذا العصر ، إذ إن شأن هذا الأخير اليوم أن يقتني الأدوية الجاهزة على أحمد صورها وان يعنى بتوزيع الأجود من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أنواعها تنفيذاً لما يأمر به أهل الطب ، وهؤلاء انما يعمدون إلى أدوية معيّنة اقتناعاً منهم بمنافعها التي يبينها لهم ويذيعها بين ظهرانيهم مانسميه اليوم بالمكاتب العلمية ، وما هذه إلا مراكز للاعلام وللوساطة التجارية تتولى إرشاد الأطباء الى الأدوية الجاهزة التي أثبتت الاختبارات العلمية فوائدها في مختلف وجوه المعالجة .

وقد أصاب البيروني فيما قاله من أن الصيدلاني أشهر من الصيدناني ، فإن المصنفات العربية القديمة التي تيسرت لي مراجعتها استعملت فيها لفظة الصيدلاني دون الصيدناني وذلك منذ القرن الثاني الهجري أو قبله . ومن ذلك ماجاء في كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء (ص ١٢٠) لجمال الدين القفطي عن اسحق والد الطبيب المترجم حنين بن اسحق وهو قوله : « وكان اسحق والد حنين صيدلانياً من أهل الحيرة ومن وَلَد العبّاد » .

ولم يستعمل ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء غير لفظة الصيدلاني ، وذلك في رواياته التي يعود تاريخها إلى القرن الثاني الهجري ، قال ابن أبي اصيبعة (ج ١ ص ١٥٣) : « لما وجه المنصور المهدي إلى الريّ لمحاربة سنقار كان عيسى المعروف بأبي قريش صيدلانياً في العسكر فأمره المهدي بلزوم الخدمة وترك خيمته وما كان فيها من متاع الصيادلة » .

وأهمل ابن بطلان في كتابه دعوة الأطباء لفظة الصيدناني واقتصر على لفظة الصيدلاني فقال في موضع من كتابه : « ثم شرب وقال لغلامه امض إلى تلميذي أبي جابر الفاصد وادعه ومعه عوده وجز بصديقنا أبي أيوب الكحال وابي سالم الجرائحي وقل لأبي موسى الصيدلاني بحياتي عليك إلاّ جعلتنا في هذا اليوم أحدَ زَبونيكَ . فما كانت هينهة حتى حضر القوم فسلموا فرددنا عليهم السلام » . وقال ايضاً : « أما تعلمون أن الحكماء يقولون إذا كان الطبيب حاذقاً والمريض موافقاً والصيدلاني صادقاً فما أقلّ لُبْثَ العلة » .

وقد تقدم أن لفظة الصيدلة لم يرد ذكرها في المعجمات قبل القرن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

التاسع ، وأن لفظة الصيدنه لم ترد فيها البتة ، وإنما جاءت في بعض النصوص التي أشير اليها في معجم دوزي والتي يعود تاريخها إلى القرنين السادس والثامن ، وعلى عكس ذلك فإن لفظتي الصيدلاني والصيدناني ورد ذكرهما بإسهاب في بعض المعجمات القديمة ، وسبب ذلك على مايبدو يعود الى أن تسمية بائع العطور والعقاقير بالصيدلاني أو الصيدناني سبقت تسمية حرفته بالصيدلة أو الصيدنة فجاء الكلام على المحترف أكثر إسهاباً منه على الحرفة ، أو أن المعجميين رأوا أن المحترف هو الأصل فأطالوا في تعريفه وايضاح مصدر الاسم الذي أطلق عليه ، كما رأوا أن تعريف الحرفة مما يستطاع استنتاجه من التعريف الذي وضع للمحترف ، فأهمله بعضهم اهمالاً تاماً وجعله البعض الآخر موجزاً إلى أقصى درجات الايجاز . هذا فضلاً عن أن المعجمات ذكرت للصيدناني والصيدلاني معاني أخرى لاتمت إلى الصيدلة بأية صلة كما سيجيء .

٥

وقد جاء في الصحاح أن الصندلاني لغة في الصيدناني . وجاء فيه أيضاً :« الصيدناني الصيدلاني ». وجاء في لسان العرب : «والصيدلاني معروف فارسي معرّب والجمع صيادلة . والصيدلاني لغة في الصيدناني » . فيؤخذ مما ذكره الصحاح واللسان أن لفظة الصيدناني اعرف الألفاظ الثلاثة ، وأن الصندلاني والصيدلاني لغتان فيه . ويؤخذ أيضاً مما قاله اللسان ان الصيدناني فارسي معرب أيضاً ، لأن الصيدلاني وهو لغة في الصيدناني فارسي معرب ، وهذا بالضبط ماعناه البيروني حين ذهب إلى أن الصيدناني معرب جندناني وذلك بأن الكلمة جندناني الفارسية قلبت جيمها المثلثة صاداً ونونها ياءً في الكلمة المعربة صيدناني . ويؤخذ ايضاً مما قاله البيروني ان لفظتي الجندن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والجندل تطلقان في الهند على شجر عطر الخشب ، وقد سماه العرب صندلاً تعريباً للفظتين جندن وجندل الفارسيتين ، وهاتان مأخوذتان من اللفظة السنسكريتية candana على ماجاء في معجم وبستر الأميركي وفي شرح معجم برهان قاطع للغة الفارسية . وقد تم هذا التعريب ايضاً بقلب الجيم المثلثة صاداً في كلمة صندل المعربة . واقتبس الفرس ايضاً عن الهند هاتين اللفظتين لتسمية الشجر أو لتسمية خشبه ، ونسبوا إلى الجندن فقالوا جندناني لبائع الصندل والعطور والأدوية . وكذلك فان العرب نسبوا إلى صندل فقالوا صندلاني لبائع الصندل والعطور والأدوية ، لان الأمم القديمة كالهنود والفرس والعرب لم تكن تفرق بين بائع العطور وبائع الأدوية فكان يتولى الاتجار بها شخص واحد ، ولذلك سمى العرب بائع الأدوية والعطور وما إليها من أدوات الزينة بالعطار وحرفته العطارة .

ويتبين مما تقدم أن ثمة تعريباً يفترض أن يكون تعريباً مزدوجاً ، أولهما تعريب الجندن والجندل إلى صندل ، والنسبة إلى هذا الأخير بالصندلاني ، والثاني تعريب الجندناني إلى صيدناني . وقد كانت نتيجة هذا التعريب المزدوج أن استحدثت لتسمية العطار لفظتان عربيتان أو معربتان هما الصندلاني والصيدناني ، وهاتان حولتا فيما بعد إلى صيدلاني . ويتراءى للباحث في هذا التطور اللفظي أن لفظة الصندلاني تحولت إلى صيدلاني بقلب نونه الأولى ياء ، وذلك بدون المرور في طور الصيدناني على ما ذكره صاحب الصحاح ، وأن الصيدناني تحولت إلى صيدلاني بقلب نونه الأولى لاماً . وهذا الافتراض كما هو ظاهر يتفق مع ما ذهب إليه اللسان من أن الصيدلاني لغة في الصيدناني .

ويؤخذ أيضاً من هذا التطور اللفظي أن العرب أو الناطقين بالعربية ومنهم أبو الريحان البيروني ، حين قالوا صيدناني لمحترف بيع العطور والأدوية أطلقوا لفظة الصيدنة على حرفته ، كما أنهم حين قالوا صيدلاني للمحترف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أطلقوا لفظة الصيدلة على الحرفة . أما الصيدنة فقد كانت اللفظة المفضلة عند البيروني ، ولذلك جعلها عنواناً لكتابه الصيدنة في الطب ، ولكنها عادت اليوم لفظة مماتة ، وبقيت لفظة الصيدلة . وأما اللفظة صيدلاني التي أطلقت على محترف الصيدلة منذ القرن الثاني الهجري أو قبله فتقوم مقامها اليوم في الشام اللفظة صيدلي. غير أننا لا نزال نحتفظ باللفظة صيدلاني وبمؤنثها صيدلانية ، لاستعمالها صفة أو نعتاً فنقول مركب صيدلاني ومركبات صيدلانية وما إلى ذلك ، كما أننا نطلق اللفظة صيدلانية على محترفة الصيدلة فلا نصفها بالصيدليّة لإطلاقنا هذه اللفظة على المكان الذي تزاول فيه الصيدلة .

ومما تجدر الإشارة إليه أن من الذين تحدثوا عن كتاب الصيدنة في الطب للبيروني من أتى بلفظة جديدة هي الجندنة ، مفترضاً أنها أخذت من جندن أو جندناني ، وقال إنها أصبحت صيدنة . على أن البيروني حين نسب في مقدمة كتاب الصيدنة إلى حمزة الأصبهاني القول بأن اللفظة جندناني عربت إلى صيدناني ، لم يذكر الكلمة جندنة وإنما ذكر الألفاظ جندن وجندل وجندناني ، هذا فضلاً عن أن الكلمة جندنة لم ترد في معجم برهان قاطع للغة الفارسية القديمة . فلا حاجة إذن إلى اختراع لفظة جديدة هي اللفظة جندنة لنعدها أصلاً للفظة صيدنة ، لأن هذه كما سبقت الاشارة إليه مشتقة من الصيدناني كما اشتقت لفظة الصيدلة من الصيدلاني .

٦

جاء في ما سلف من هذا البحث أن من أهل اللغة من قال بأن لفظة الصندل دخيلة ومنها اشتقت لفظة الصيدناني وأخواتها . إلا أن لغويين آخرين ذهبوا إلى أن لفظتي الصيدناني والصيدلاني عربيتان ، وأنهما منسوبتان إلى صيدن وصيدل العربيتين . ولم يرد هذا القول في الصّحاح لأن هذا المعجم كما قيل لا يحتوي على أكثر من نصف اللغة ، إلا أنه جاء في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اللسان ونقله التاج في مستدركه على القاموس ، وهذا ما قاله اللسان : «والصيدلاني لغة في الصيدناني ، قال ابن بري : الصيدلاني والصيدناني العطار ، منسوب إلى الصيدل والصيدن ، والأصل فيها حجارة الفضة فشبه بها حجارة العقاقير . وعليه قول الأعشى يصف ناقة شبّه زَوْرَها بصَلاءة العطار :

وزَوْراً ترى في مِرْفَقَيه نَجافةً نبيلاً كدَوْكِ الصَيدنانيِّ دامِكا

ويُروى الصيدلاني دَامِكا والدَّوْك الصلاءة ، ويقال للحجر الذي يطحن به الطيب ، والدَّامِك المرتفع» . ويقول صاحب اللسان أيضاً في مادة صدن : «وحكى ابن بري عن ابن درستويه قال : الصيدن والصيدل حجارة الفضة شبه بها حجارة العقاقير فنسب إليها الصيدناني والصيدلاني وهو العطّار» .

وعلى خلاف ذلك فإن أبا محمد الحريري قال في درّة الغواص (ص ٥١): «ويقولون في المنسوب إلى الصيدل والصيدن ، وهما في الأصل حجارة الفضة ثم جعلا اسمين للعقاقير ، صيدلاني وصيدناني» . غير أن شهاب الدين الخفاجي قال في شرحه لدرة الغواص (ص ١٢٨) : «في شرح الفصيح الصيدناني والصيدلاني بائع العقاقير كالعشاب والعطار . وعن ابن درستويه : الصيدن والصيدل الفضة شبه بها حجارة العقاقير فنسب إليها وزيدت الألف والنون للمبالغة» . وعليه فإن الحريري ذهب إلى أن لفظتي الصيدل والصيدن وهي حجارة الفضة ، استعيرتا لتسمية العقاقير ، في حين أن الخفاجي يخالفه في ذلك فيردد ما نقله صاحب اللسان عن ابن درستويه وهو أن الصيدل والصيدن ، وهما في الأصل حجارة الفضة ، استعيرتا لتسمية حجارة العقاقير فنسب إليها بالصيدلاني والصيدناني ، على اعتبار أنها تعنيان حجارة العقاقير لا العقاقير نفسها التي تطحن بها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد جاء في الصحاح ما يفهم منه أن للصيدناني معاني أخرى لا صلة لها بالصندل المعرب عن الجندن والجندل ، كما أنها ليست ذات صلة بصورة النسبة إليه وهي الصندلاني ، أو بلفظ النسبة التي يظن أن لفظة الصيدناني تعريب لها وهي اللفظة الفارسية جندناني . وينتج من ذلك أن المعاني الأخرى للصيدناني قد تدل على أن اللفظة عربية ، وأن العرب استعملوها للدلالة على عدد من المسمّيات التي شاء البيروني الاشارة إلى بعضها ، ولم يشأ الاشارة إلى بعضها الآخر ، وهو ما نصت عليه المعجمات التي كانت متداولة في زمانه . وهذا ما قاله الصحاح : « الصيدناني الصيدلاني ، والصيدناني أيضاً دُوَيبّة . قال أبو عبيد : تعمل لنفسها بيتاً في الأرض وتعمّيه ، ويقال له الصَيْدن أيضاً » .

وجاء في لسان العرب : « ابن الأعرابي : يقال لدابة كثيرة الأرجل لاتعد أرجلها من كثرتها وهي قصار وطوال صيدناني وبه شبه الصيدناني لكثرة ما عنده من الأدوية . وقال ابن خالويه : الصيدن دويبة تجمع عيداناً من النبات فشبه به الصيدناني لجمه المقاقير » . وفي تاج العروس : « الصيدناني المطار مثل الصيدلاني ، شبه بتلك الدويبة التي تجمع العيدان على ما قاله ابن خالويه أو التي كثرت أرجلها على ما قاله ابن الأعرابي » .

وقد تقدم في النص المقتطع من مقدمة كتاب الصيدنة ما يؤخذ منه أن البيروني كان ينكر ما قاله بعض اللغويين — ولعله كان يقصد ابن الأعرابي — من أن الصيدناني دويبة كثيرة الأرجل ، وكان يعد هذا القول من قبيل اللَّغْو البَحت . وقد رجح البيروني أن من قال هذا القول كان يعني الدويبّة المعروفة بدخّال الآذان ، وهي الدويبة التي سماها سواه بالحَرِيش أو بأم الأربع والأربعين .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد وردت في الأمهات معانٍ أخرى للصيدن والصيدناني ضربت صفحاً عن ذكرها لأنها ليست ذات صلة بالموضوع الذي عالجته في هذا المقال . وهو أن لفظتي الصيدنة والصيدناني وأختيها لفظتي الصيدلة والصيدلاني يعود أصلها جميعاً إلى الصندل وهو الشجر الهندي ذو الخشب الطيب الرائحة ، وأن لفظة الصندل معربة عن الجندن والجندل الفارسيتين ، وقد تمّ هذا التعريب بقلب الجيم الفارسية صاداً في اللفظتين الأولى والثانية وبقلب النون الثانية لاماً في اللفظة الأولى ، وهما لفظتان مأخوذتان من لفظة سنسكريتية سمّي بها الشجر ذو الخشب الطيب الرائحة ، وقد سماه العرب صندلاً على ما سبق بيانه بالتفصيل .

مصادر البحث

مخطوطة جامع كورشونلو في بورسه بتركيا ذات الرقم ١٤٩ لكتاب الصيدنة في الطب لأبي الريحان محمد بن أحمد البيروني ، تملك مصورها دار الكتب المركزية في جامعة طهران برقم ٣٦٣ .

مخطوطة دار الكتب المصرية بالقاهرة ذات الرقم ل/ ٣٠١٤ لكتاب الصيدنة للبيروني .

مخطوطة المتحف العراقي في بغداد ذات الرقم ١٩١١ لكتاب الصيدنة للبيروني .

مخطوطة مكتبة الامبروزيانا في ميلانو لكتاب دعوة الأطباء للمختار بن الحسن ابن بطلان .

ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء (القاهرة ١٢٩٩ هـ / ١٨٨٢ م).

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جمال الدين القفطي : إخبار العلماء بأخبار الحكماء (القاهرة ١٣٢٦ هـ) .

أبو محمد القاسم بن علي الحريري : كتاب درة الغواص في أوهام الخواص وشرحه لأحمد شهاب الدين الخفاجي (القسطنطينية ١٢٩٩) .

أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي : المعرب من الكلام الأعجمي (القاهرة ١٣٨٩ هـ) .

الصحاح للجوهري (القاهرة ١٣٥٦ هـ / ١٩٥١) .

لسان العرب لابن منظور (القاهره ١٣٠٠ هـ) .

القاموس المحيط للفيروزابادي (القاهرة ١٣١٩ هـ).

تاج العروس الزبيدي (القاهرة ١٣٠٦ هـ).

المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة (القاهرة ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م).

معجم برهان قاطع للتبريزي وشرحه للدكتور محمد معين (طهران ١٣٤٢ هـ ش / ١٩٦٣) .

R. Dozy : Supplément aux Dictionnaires Arabes (Leyden, 1881).

Dorland's Illustrated Medical Dictionary, 24th edition (Philadelphia, 1965).

Webster's International Dictionary (Springfield, Mass. 1971).

الدكتور ميشيل الخوري

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net